وسنة ١٧٥٠ عينها البابا بندكتس الرابع عشر استاذة للعلوم الرياضية في مدرسة بولونا الجامعة وهو منصب جليل افتخر به كبار العلماء لكنها اعتذرت عن قبوله . وتوفي ابوها سنة ١٧٥٢ فقصرت اهتمامها على تعليم اخوتها وعلى الاعتناء بالايتام حاسبةً ان ذلك ادعى الى تمجيد الله من الاشتغال بالعلم . وباعت الاثاث المرصع الذي اهدته اليها امبراطورة النمسا وانفقت ثمنهُ على المعوزين . وزاد عدد المستضعفين الذين كانت تعتني بهم حتى بلغ مرةً اربع مئة وخمسين وكانت تجمع لهم الصدقات من اصدقائها لانها لم تنقطع عن معاشرة الناس ومعاملتهم . وتوفيت في اوائل سنة ١٧٩٩ بعد مرض طويل

وغرضنا من نشر هذه الترجمة بيّن وهو الاعتراف بالفضل لذويهِ رجالاً كانوا او نساء . والمجاهرة بقصورنا عن ادراك الاوربيين حتى نسائهم في المطالب التي يقال ان للشرقيين ميلاً فطريًّا اليها

استرجاع السودان

حدث هذا العام حادثان من اعظم حوادث التاريخ شأنًا واشدها سيف العمران اثرًا وهما تقليص قنال اسبانيا عن اكثر الجزائر التابعة لها وعتق بلاد السودان من نير المهدوية وردها الى الحكومة المصرية

والسودان (او بلاد السودان) بلاد واسعة الاكناف كثيرة الخيرات تمتدُّ من حدود شمالاً الى منابع النيل جنوبًا ومن البحر الاحمر وبلاد الحبشة شرقًا الى صحراء ليبية وبلاد وداي والكنغو غربًا . يمرُّ فيها نهر النيل فيحيي مواتها ويجزل خيراتها ونولاهُ لكانت صحارى ومفاوز لا يسكنها انسان ولا يعيش فيها حيوان . سكانها سود الوجوه فسميت بالاضافة اليهم وهم من شعوب مختلفة وبعضهم من قبائل العرب الذين هاجروا اليها منذ نحو ستة قرون . قال صاحب تاريخ الحرب السودانية "انهم طوال القامة حسان الوجوه مشهورون بالشجاعة والمروءة وعزّة النفس منقسمون الى قبائل شتى متفرقة في انحاء البلاد يفتخرون بجنسهم ونسبهم ولذلك ندر اختلاطهم بمن حولهم من القبائل . ولم يزالوا في اوصافهم على ما كانت عليهِ العرب ايام عزها ومطوتها من شدة الحمية والانفة ومضاء العزيمة والصبر على المكاره" . ثم نقل عن احد كتّاب الانكليز قولهُ "انهم قوم كالاسود لا يقعدون عن حرب ولا يتربصون للدفاع بل

يهاجمون عدوهم ويقتحمون صفوفهُ بصدورهم وينقضُّون عليهِ كالنسور مجتمعين معاً في زمان لا يعلمهُ احد ومن مكان لا يدري بهِ احد فيلقون الرعب والمهابة في صدور رجالهِ . وشبهات ان يوليك عرابي ظهرهُ في ساحة القتال ولو سدَّدت الى صدرهِ فوَّهة البنادق والمدافع "

ولقد اهتمَّ ملوك مصر الاقدمون باكتشاف منابع النيل فبعثوا فيهِ السرية بعد السرية وفتحوا البلاد التي بين اصوان وبربر من عهد المصريين القدماء والمرجح انهم اكتشفوا البحيرات التي يخرج النيل منها قبل عهد الرومان كما ترى من خريطة بطليموس التي وضعناها في الجزء الثامن من اجزاء هذه السنة

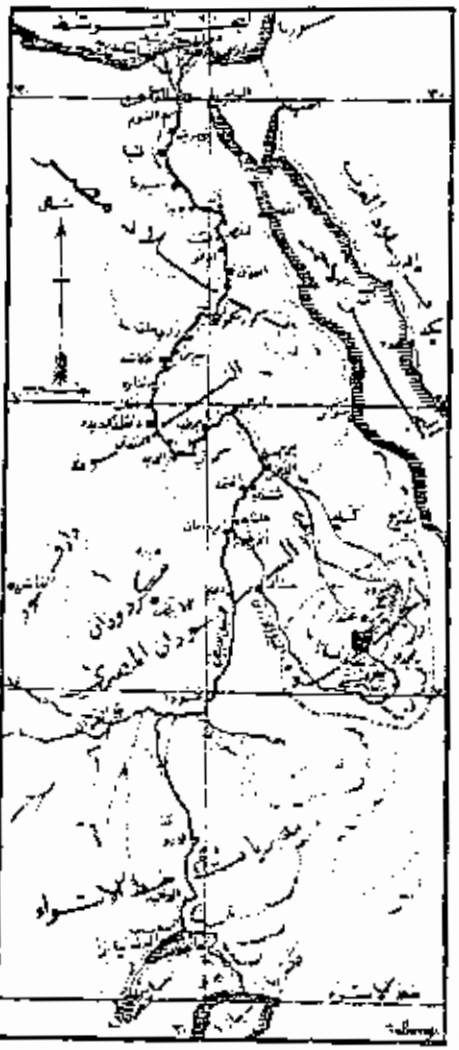

مصر والسودان

ولما فتح العرب الديار المصرية في صدر الاسلام كان اكثر سكان السودان يدينون بالنصرانية فتوالت غزوات العرب عليهم الى القرن الثامن للهجرة ففتحوا بلاد النوبة حينئذٍ ثم امتدوا في فتوحاتهم جنوباً الى ان شملت بلاد السودان كلها ونشروا الاسلام فيها وكثر الراحلون منهم اليها ومن ثمَّ صارت ممالك عربية مستقلة وبقيت على استقلالها الى ان استتبت الولاية في الديار المصرية لمحمد علي باشا الكبير فبدا لهُ سنة ١٨١٩ رأي لا يخطر الاَّ على بال ذوي المدارك العليا والهمم الكبيرة والعزائم المواضي وهو فتح السودان فغابت ربع اولاه فتح ابواب الرزق واكتسب لانصاره من الترك الاربوَّد الذين قهر بهم ممالك ومزَّق شملهم . وثانيها قطع دابر من بقي من اولئك الممالك في بلاد دنقلة . وثالثها امتلاك مناجم الذهب في بلاد سنَّار . ورابعها تجنيد السودانيين في جيشهِ وتعزيز قوتهِ بهم لما كان مشهوراً عن شجاعتهم

وتاسعهم ... وسنتكلم على فتح الحبش لاكثرهم في نحو سنة ١٥٤٠ ثم تولى فتح زيلع في ايام السر محمد ويأتي الكلام فيه بالجملة المصرية حتى لا نتنوع الكلام وكاد يتمها وفتح زيلع عند بلاد دارفور سنة ١٨٥٠ وضمها الى حكومة المصرية فاستتب لها حكم السودان كله . ولكنها لم تحسن ادارة الاحكام فيه فثقلت الضرائب على عاتق الاهلين وتعصب الخاصة وفي من كبر الجيش عند كبرائهم . ثم كانت الثورة العربية فتعاضد شوكة الحكومة هناك وكان السود يهون قد استثقلوا وطأتها كما تقدم فظهر المهدي ودعاهم الى مناوأتها فلبّوا دعوته على ما يأتي مفصلاً في المقالات التي خصصناها من كتب سلاطين باشا ونشرناها في المجلد العشرين من المقتطف

السلطان بسعة وستين رجلاً

وهات المهدي وخليفته عبد الله التعايشي مشيرة الاولى الى التحرك له الى دعاة البدوية ومناوأة الحكومة المصرية والتضعير بمظاهر الملك والسودد الى رجال قبيلته التي هم زعماء وسكنهم البلاد الخصيبة واستعبدهم بهم وخدمه السعد في اول حكمه وكان رجاله يحاربون في سبيله مستبسلين عن غيرة دينية وعقائد راسخة الجذور متأثرين وكسالا وتغلبوا على الاحباش وقهروا الثورات الداخلية واوقعوا بالتاريس . وسقط وظفر والنظم والنتوة من صباه وذلك

(١) هو المصور الاول من تاريخ حرب السودان المصور في مجلة المقتطف

كان يتش هذا ويقيّد ذاك ويقطع نوصال ذلك ويستولي على عواطم وذراريهم . وأتى مرةً بسبعة وستين رجلاً مع نسائهم واولادهم وكانوا متهمين بالتخلف عن نجدة ولد النجومي فامر ان يقتحوا ثلاث فرق فرقة لتقتل شنقاً وفرقة تضرب اعناقها وفرقة تقطع ايديها وارجلها من خلاف ففعل بهم رجاله حسب امره وطاف عليهم بنفسه عند التنكيل بهم ووجهه طافح سروراً كما ترى في الرسم السابق وهو منقول عن كتاب سلاتين باشا وفيه اوضح مثال وابلغ بيان لحكمه في بلاد السودان

وفي الثالث عشر من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٦ اقرّت الحكومة المصرية على فتح السودان كلهِ بعد ان كسرت شوكة التعايشي في واقعة طشكي وطوكر وبثت الحماسة في قلوب رجالها والرعب في قلوب رجاله . فتغلبت على جنود الدراويش في عكاشة وتركة وسواردة ودنقلة في خمسة اشهر ومدّت سكة الحديد الى هناك

وتولى الزحف ومدّ سكة الحديد في العام التالي وبلغت الحملة مدينة بربر ففتحتها ثم نازلت الدراويش على الاثر في هذا العام في واقعة تشيب الاطفال وكانت الجنود الانكليزية مع الجنود المصرية تفترق شمل الدراويش كلّ ممزّق وأمير امرهم محمود وهو يتوعّد ويتهدّد ويقول ان كنتم ايها المصريون قد انتصرتم علينا هنا فاصبروا حتى تصلوا ام درمان وتطلقوا بين فيها من الابطال والفرسان فما نحن الاّ شرذمة من جيشهم الجرار وقطرة من بحرهم الزخار

ولما ارتفع النيل هذا الصيف وسهل سير السفن الحربية فيهِ وعبورها من شلال شبلوكة عاودت الحملة الزحف على ام درمان والزايات الانكليزية تخفق بجانب الزايات المصرية والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان اصرم شهر اغسطس وحينئذٍ وصلت الاساطيل الى جزيرة توتي وهي بين الخرطوم وام درمان واطلقت عليها القنابل سبع غرة سبتمبر وخربت حصونها وحصون ام درمان وهدمت قبة ضريح المهدي ولكنها لم تضعف عزائم اتباعه

وصباح يوم الجمعة وهو الثاني من سبتمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان فوجدت جيوش التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفاً من الابطال بين فرسان ومشاة فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ورصاص البنادق يحصدهم حصداً وهم لا يلوون اعنة خيلهم ولا يحسبون للموت حساباً الى ان فني نحو عشرة آلاف مقاتل منهم واسلأت الارض بقتلاهم وتقدم السردار قاصداً ام درمان لكي يتنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها وحاول التعايشي حينئذٍ ان يخترق الجناح الايمن فقويل من جنوده بعزم شديد وجاش رابط واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليهِ فرقت شمل اتباعهِ فولوا مدبرين لا يلوون على احد ونجا

هو بنفر قليل من اتباعه بعد ان قُتل اكثر رجاله وانصاره

وقد قال من رأى الدراويش مرأى العين وهم يحاربون "ان المرء لا يستطيع الا ان يعجب ببسالتهم فانهم كانوا يتقدمون ثم يجتمعون ويهجمون على صفوفنا الى ان يفنوا عن آخرهم . وكان امراؤهم يهجمون على الموت هجوم الاسود الكواسر تشجيعاً لرجالهم فيصل بعضهم الينا قبل ان تكتنفه مجاري الرصاص المتهالة من بنادقنا ومدافعنا ثم اذا اصابته رصاصة فوقع يدور وهو في النزع ويردّعنا برصاصة من بندقيته"

اما السردار فاحتل ام درمان عصاري ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها من جنود التعايشي مقاومة قليلة. واحتل سيل من فيها من الاسرى وهم من امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واحباش . وقد قُدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا الجثث الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم يخمن بستة عشر الفاً والباقون أخذوا اسرى

وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و ٢٧ عسكرياً وجرح ٧ ضباط و١٠٣ من العساكر. ولم يقتل احد من ضباط الجيش المصري ولكن جرح ستة من ضباط الانكليز و ١١ من ضباط الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك . وقتل ٣٥ من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ . وقتل مكاتبي من مكاتبي جريدة التيمس وجرح الآخر

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم واحتفل احتفالاً بهيجاً باسترجاعها وبذكر غوردون باشا الذي قُتل فيها ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية

وسار بعد ذلك باورطة من الجنود المصرية ونحو مئة من الجنود الانكليزية الى مدينة فشودة على النيل الابيض جنوباً ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر وكتب يقول انهُ رفع عليها الراية المصرية وابقى فيها حامية من جنوده. ثم سار في البحر الابيض جنوباً حتى وصل الى سوبات على ٢١ ميلاً من فشودة فاقام فيها حامية اخرى ورفع الراية المصرية عليها وابقى في فشودة ضابطاً فرنسوياً اسمهُ مرشان وطلب اليه ان يأتي معهُ الى الخرطوم فابى ما لم ترسل اليهِ دولتهُ تأمرهُ بذلك فتركهُ فيها

وكان ولد الفضيل من امراء الدراويش لا يزال في القضارف ومعهُ ثلاثة آلاف مقاتل فهاجمهُ برسوز باشا في ٢٢ سبتمبر بحامية كسلا وجرت واقعة هائلة بين الفريقين دامت ثلاث ساعات قتل فيها ٥٠٠ من الدراويش وتفرّق شمل الباقين. وقتل ضابط وطني من حامية كسلا وجرح اربعة ضباط وقتل ٣٧ من صف الضباط والعساكر وجرح ٥٥ ووقعت القضارف في يد الحكومة المصرية فتم بذلك فتح السودان الشرقي كلهِ